مقياس : مدخل الى الانتروبولوجيا

المحاضرة الاولى :

1-السياق العام لبروز العلوم الحديثة :

تدين العلوم الحديثة –خاصة الانسانية منها –بالفضل في تطورها في جزء كبير الى عصر النهضة الاوروبية(القرن 15 و 16م) والتي نقلت المرجعية من الدين والإله الى العقل والانسان،إن القرون الوسطى التي بدأت في أوروبا مع سقوط روما في يد قبائل الجرمان سنة476م تميزت بطغيان الجهل والتخلف , خاصة مع تحالف قوى أرادت مصلحتها وفقط ,بدءا بالكنيسة التي أولت الديانة المسيحية وفق هواها ، فالشرعية الوحيدة والخير مركزه الدين وماعدا ذلك فهو هرطقة ، لقد لخص كل شئ في تعاليم لرجال الدين ونظرتهم إلى الحياة ، إن الملك –وفق معانيهم–ليس سوى خليفة الله في الأرض ، والملكية ما هي إلا ترجمة لإرادة الرب في السيطرة على عباده ، وبالتالي لا فضل للشعب والرعية عليه . ان الإنسان العاقل ، المفكر، الفرد لا يوجد وليس له معنى إلا من خلال تأويل هؤلاء المتدينين للمسيحية، خاصة وان العلم محتكر ومحصور في الكنيسة . ان العلوم والفنون المتعلقة بخدمة الإنسان غير موجودة , والأزيد من ذلك فهي تؤدي إلى الكفر والزندقة –وفق المنظور الديني– ان المفاهيم المتعلقة بالاحتجاج والرفض والثورة على العبودية والفقر والاستغلال لا تلقى صداها في مجتمع القرون الوسطى , رغم الحالة السيئة لجل أفراده الذين أصبحوا عبيدا في أرضهم خدمة لرجال الإقطاع المتحالفين مع الملكية والمدعومين من الكنيسة . سينتظر الإنسان الأوروبي القرون اللاحقة ليحاول تغيير واقعه اليومي والتخلص من براثن الجهل والعبودية' إن انتقال الإنسان من الريف الى المدينة

,فبتغيير الفصاء تغيرت الحرفة(من الزراعة الى اكتساب حرف جديدة) وتحرر الانسان من سيطرة الاقطاع , وبدا التعليم ياخذ مكانته عند العامة مما اهلها لطرح اسئلة وجودية جديدة تتعلق بمفاهيمها للحياة والكون , وهي من صميم التجربة الانسانية اللاحقة. الالتقاء "بالاخر" المسلم والتاثر به ومن ثم نقل معارفه وترجمتها شكل لبنة اخرى في محاولة "الانا" الاوروبي الخروج من عزلته التي وضع فيها , "فابن رشد" و"الفارابي" و"ابن سينا" كانت كتبهم تلقى القبول والاعجاب عند الاوروبيين الذين وجدوا فيها النزعة الانسانية المفقودة في فكرهم نتيجة احتكار الكنيسة لتفسير العالم.هذه الكنيسة التي سيخرج من رحمها رجال دين عارضوا توجهاتها الموغلة في الجهل , وسيبشروا بمذهب جديد سيسمى "البيروتستانتية" وتدخل بالتالي الساحة الاوروبية في حروب اسماها المؤرخون "الحروب الدينية" والتي اضعفت الكنيسة وخف بالتالي ضغطها على فكر العامة التي وجد افرادها حريتهم الكاملة في طرح اسئلة قادتهم الى الحرية الانسانية. فقط وجبت الاشارة الى ان المؤرخين لايعتبرون "النهضة الاوروبية" كمرحلة مقابلة للقرون الوسطى وانما "كزمن انتقالي" قاد اوروبا من مرجعية الدين والاله الى مرجعية الانسان والعقل , في ظل هذا السياق العام الذي دام زمنيا اكثر (من 04 قرون) برزت العلوم الحديثة التي كان هدفها الاساس اشباع رغبة الانسان الاوروبي الجديد , وارضاء كبريائه , فاصبحت جل المعارف تدور في هذا الممدار متخذة من العقل مرجعية ومن الانسان غاية وهدف اسمى فلم تعد هناك حدود سوى التي رسمها انسان مابعد النهضة , فمركز المعارف كلها هو الانسان , فماصيه تناوله بالاريخ والتفسير "علم التاريخ" , وحاضر الجماعات ومؤسساتها انبرى له علم الاجتماع , والجانب النفسي اصبح له علم النفس , كما ان المجتمعات التي لم تصل الى مستوى المجتمعات الاوروبية وتطورها –على الاقل كما كان يعتقد– اصبح لها مهتمين وباحثين سيعرفون "بعلماء الانتروبولوجيا.

2- مفهوم علم الانتروبولوجيا:

لغويا : الانتروبولوجيا كلمة يونانية متكونة من قسمين (انتروبوس) التي تعني الانسان , و(لوغوس) التي تعني العلم وبالتالي يقصد بها(علم الانسان)

اصطلاحا : تعني الانتروبولوجيا (دراسة الخصائص الاجتماعية والثقافية للانسانية بمجملها) او(الدراسة الشاملة للنوع الانساني) بعبارة اخرى انها لاتختص بجزء معين من الدراسة على غرار العلوم الانسانية الاخرى بل بمجمل نشاطات الانسان عبر المكان وعبر الزمان , بتقنيات بحث خاصة تعتمد في الاساس على العمل الميداني والدراسات الكيفية التي تهتم كثيرا بالجانب الحميمي للانسان وعلاقاته , عبر تقنية االملاحظة بالمشاركة والتي اصبحت (كعلامة مسجلة) لعلم الانتروبولوجيا . التركيز على المعنى الذي يعطيه الافراد والجماعات لافعالهم , بدل البحث عن الحقيقة هي سمة اخرى مميزة لهذا العلم الناشئ حتى جعل البعص يطلق على الانتروبولوجيا (علم المعنى) .

3-مفهوم الاثنولوجيا :

لغويا : كلمة ذات قسمين (اتنوس) الذي يعني شعب او جماعة عرقية و(**لوغوس**) التي تعني العلم وباتالي فهي علم الاعراق اوالجماعات البشر

اصطلاحا : اول من ادخل كلمة الاتنولوجيا الى حقل الدراسات الفكرية كان العالم السويسري (شافان) وكان ذلك سنة 1787م وذلك في كتاب عنونه ب(محاولة حول التربية الفكرية مع مشروع علم جديد1) وقصد بهذه الكلمة حينها علم تصنيف الاعراق او الاجناس , اما في الحاضر فان الاتنولوجيا –حسب كلود ليفي ستروس– الانتروبولوجي البنيوي الفرنسي ليست سوى مرحلة في العمل الانتروبولوجي الذي يبدا بالاتنوغرافيا التي تهتم بعملية جمع المادة اوالعمل الميداني , ثم بالاتنولوجيا , لنصل

الى الانتروبولوجيا التي يعني بها مهمة اجراء التحليل المقارن للمجتمعات والثقافات وتغذية التامل النظري. في حين يرى البعض بان الاثنولوجيا مرتبطة اساسا بالتقليد الفرنكفوني للانتروبولوجيا في القرن التاسع عشر والذي كان يقصد به دراسة الشعوب والمجتمعات الموسومة بالبدائية , على خلاف علم الاجتماع الذي اهتم بمجتمعات الغرب مابعد الثورة الصناعية بعبارة اخرى فالاختلاف بين الانتروبولوجيا والاتنولوجيا يعود بالدرجة الاولى الى المدارس وليس الى الاهتمام , فنفس الممارسة يطلق عليها في الولايات المتحدة وبريطانيا (انتروبولوجيا) في حين يطلق عليها في فرنسا (اتنولوجيا) .

---

1 **بيار بونت وميشال ايزار**، معجم الاتنولوجيا والانتروبولوجيا ، ترجمة مصباح الصمد ، ط 2 ، بيروت ،2011 ، ص24.

4- مفهوم الاتنوغرافيا :

لغويا : اتنوغرافيا كلمة متكونة من قسمين (اتنوس) التي تعني شعب و(غرافي) التي تعني التصوير او الوصف .

اصطلاحا : (غالبا ماكانت تستعمل كلمتي لتنولوجيا واتنوغرافيا في فرنسا , حتى الحرب العالمية الثانية , دون تمييز, اشارة الى واحد من العلوم الانسانية كان يميل حصريا الى دراسة المجتمعات البدائية. وعندما كان يتم التمييز بينهما , كان من المتفق عليه اعتبار مهمة الاتنوغرافيا جمع الموادالتي تحللها الاتنولوجيا)1.وهي نفس الفكرة التي بينها كلود ليفي ستروس باعتباره كان له الفضل في ادخال مصطلح الانتروبولو جيا الى الساحة الفكرية الفرنسية في الخمسينات من القرن الماضي متاثرا بالثقافة الامريكية .من المتفق عليه الان فاننا عندما نتكلم عن الاتنوغرافيا فاننا نركز اكثر على (المنهج الاتنوغرافي) المرتبط كثيرا بجمع الادة والغوص في الديدان او العمل الحقي ...

5-مفهوم الاركيولوجيا :

لغويا : اركيولوجيا كلمة اغريقية تنقسم الى **(اركيو)** التي تعني كلمة او خطاب و **(لوغوس)** التي تعني العلم

اصطلاحا : يقصد به تلك الدراسة العلمية للحضارات القديمة التي تعتمد على جمع وتحليل البقايا المادية للعنصر البشري , وهي في الولايات المتحدة جزء مكمل للدراسات الانتروبولوجية مع (الانتروبولوجيا الطبيعية –الانتروبولوجيا الثقافية – اللسانيات–)وهي كلها تهتم بفهم الانسان بكليته , واختص علماء الاثار بالجانب

المادي الذي يخلفه الانسان عبر الزمن , سواء كانت هذه البقايا تنم عن جمالية(كالقصور او التحف) او غير ذلك كالبقايا البسيطة للفعل الانساني .